وتدبيره ليلا يتسع الخرق على الراقع وان اصابهم خلل في امر المعيشة من الطعام والشراب والكسوة
والدواب او في الذهب والفضة او في الطعام فليوسع عليهم ويلم الشعث الحادث بهم فان
في سير السلطان الغازي محمود بن سبكتكين ولما اجدب رعيته وكان له طعام فقال بعض وزرائه
يبيع منهم بثمن عدل فقال لا بل يوسع ويتصدق عليهم فانهم رعيتنا ولا نأخذ شيئا فلا يستحسن ما
ان يكون في الرخاء رعيتنا وفي الشدة والغلاء امر حتى افيض عليهم فان ضاقت البلدة بالرعية وشق
عليهم المقام لازدحامهم فلينزل في البلد فان لم يمكن فلينقل البلد الى بلد وليأمر الملك رعيته بالزراعة
والعمارة وينهاهم عن اسفاف الذهب والفضة في الاواني والاطواق واللجم والمناطق لان الاصل
عليهم امر المعاش فيه وقيل ان الذهب انما نفد من ايدي الناس لان الملوك في هذا الزمان يستعملونه
في الاشياء المستغنى عنه والملوك المتقدمة لم يفعل ذلك فكثر في ايامهم والرعية على خمس طبقات
فينزل الملك كل طبقة في موضعها حتى ينتظم امر مملكته فمن نزل الناس منازلهم امن عوائلهم وهو ولذا ذكر
في كتاب اسرار الوزارة من هذه الكتب ان اختلاف امر المملكة يورث زوال الدول من اصطناع السفل
وتضييع اهل الشرف والحسب فالطبقة الاولى خواص الملوك والطبقة الثانية الحجبة
الملك وخدامه والطبقة الثالثة المحترفة والطبقة الرابعة اصحاب العاهات العجزة
والطبقة الخامسة البطلة الفسقة العجزة اما الطبقة الاولى وهم خواص الملك فخمس
نفر الوزراء والكتاب والعارضون وصاحب البريد والحجاب واحق الناس بانعام الملك
الحجاب والوزراء لان الوزير نائب الملك ثم الكتاب لانهم يعرفون اسرار الملك ثم العارضون لانهم
حفاظ العسكر ثم صاحب البريد لانه بمنزلة سمع الملك ثم الحاجب وهو وجه الملك فالوزير
نائب الملك يحفظ دينه وماله وخزاينه وامر مملكته ويحامي من البلايا لا انقايسه الملك
فيستحق الاختصاص والمراتب والكاتب يحفظ سره وخزاينه وامور مملكته والعارض يعرف
مراتب الرجال واحوالهم وصاحب البريد يطلعه على مصالح المملكة ومفاسدها وقيل
ان المأمون الخليفة رتب لصاحب البريد اربعة الاف حمل مع مونتها ولا لانها يستخبرون
عليها امور المملكة فكان يعرف احوال العالم في يوم واحد والحاجب جناح الملك بل وجهه يدخل
ويخرج ويولي ويعزل ويكتب ويفتح فيستحق الانعام ٥ الطبقة الثانية العسكر فانهم جناح
الملك وخدامه فيشرف على كل خمس منهم امرا يطيعونه فيما يأمرهم ويعرف ظواهرهم وبواطنهم
ومصالحهم ومفاسدهم وليطلق العسكر بالكفاية ٥ الطبقة الثالثة المحترفة يأمرهم بلزوم

المحترفة يأمرهم بلزوم الحرفة والمبالغة فيها لان الناس في البلد بمنزلة الاعضاء على البدن
فاذا انتقص عضو نقص البدن كذلك اذا انتقصت حرفة في البلد تداعى الخلل في البلد ٥ فان
اراد الوزير اجماع المحترفة في المملكة فالحيلة ان سابقهم بالعطية والنظر والمسامحة حتى يتسابقوا
الى الحرف في البلد ٥ الطبقة الرابعة اصحاب العاهات اعاذ الله الصدر العالي منها
كالعميان والزمنى والمجذومين والمخنثين فليتلطف الملك ويرفق بهم فانهم اهل البلاء ومنادي
الشرع تقول اذا رأيتم اهل البلاء فسلوا الله العافية فيجري عليهم قدر كفايتهم وليعين لهم موضعا
على اطراف البلد ٥ ويجب على الملك والوزير ان يعقدا الغيار في كل ذمي يهودي ونصراني ويميزهم عن
المسلمين في مملكته لئلا يختلطوا بالمسلمين فان تسامح بذلك لضايعة يأخذها منهم او يبتغا فلعن
ذلك فقد داهن في دين الله وما يسخط من الله ٥ الطبقة الخامسة البطلة الفسقة الغوغا
فلا يرحمهم الملك لانهم يعطلون الطعام ويصعقون الطرق ويمطلون الناس يبطلون رزق الله ولا يعملون لله
فلا يصلحون للدنيا ولا للاخرة وكل احد يعمل لنفسه وهم لا ينظرون لانفسهم فيخرجهم من البلد ان راى
المصلحة او يرفق بهم لنايبة او حادثة ٥

الباب الثالث في بيان اداب الجلوس

ينبغي للملك ان ينظر الى الرعية بعين الرعاية والاكرام وينزلهم منزلة الاولاد والاخوان فان الفرس
كان من عادتهم ان ينزلوا الرعية منزلة العبيد لا يرعون لهم حرمة ولا يحفظون لهم ذمة فعاب عليهم
الحكما وكتبوا الى الاسكندر ينبغي لك ان تنظر الى رعيتك بالعين التي تنظر بها الى الاولاد والاخوان فلان
تكون ملك الاحرار والاشراف خير لك من ان تكون ملك العبيد والاوغاد فاستحسن ذلك منهم ٥
وليعلم الملك ان الحديث عقل الملك ورسوله فان سمعته كلاما قبيحا يستدل على عقل الملك
فالحديث ذكره لا تعلمه الا الذكور ولا يبدو بالكلام الركيك فيسقط حشمته ولا يأذن للناس
كل يوم فيسقط وقاره ولا يحتجب عن الناس مدة فيفتنونه ولا ينبسط مع الناس فيجترئوا عليه وينزل
الناس منازلهم فيأذن للعلماء اولا ثم للزهاد والصوفية ويوزع الى العلماء ويحفظ الادب
والسكينة ولا يمكن احدا ان يقوم على راسه بالسيف المسلول فانه خطر عظيم ويحتاط في ادخال الرسل عليه ٥
ولا يأذن للعاق ان يدخل عليه ٥

الباب الرابع في الحجاب

قد ذكرت ان الملك اذا احتجب مدة يسأ الرعية فليبرز احيانا حتى يستعظمونه فالليث

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)